دراسة حالة عمالة الأطفال في مدينة القامشلي لعام 2019

1 حزيران 2019

رصدت المنصّة المدنيّة السوريّة مؤخّراً إحدى الظواهر التي انتشرت بشكل كبير في محافظة الحسكة، وبشكل خاصّ في مدينة القامشلي، وحاولت رصد الظاهرة وتقصّيها بهدف إيجاد حلول وإجراءات للحدّ من تفاقم هذه الظاهرة، وستكون هذه الورقة موجّهة إلى المنظّمات الدولية العاملة في المنطقة، وجميع صُنّاع القرار الذين يستطيعون أن يؤثّروا في الحدّ من تفشّي الظاهرة.

حاولت المنصّة تقصّي وجود نِسَب تحصر ظاهرة عمالة الأطفال، إلا أنها لم تجد أي مرجع يتحدّث عن حجم الظاهرة في الجزيرة، لذلك تمّ العمل على رصد الظاهرة من ناحية أسبابها وتأثيرها على الأطفال.
حيث رصدت المنصّة المدنيّة انتشار الظاهرة في مدينة القامشلي دون وجود رقيب على أرباب العمل الذين يشغّلون الأطفال، وهذا مرتبط أساساً بعدم تطبيق القانون الذي يحدّ من الظاهرة من قِبَل الإدارة الذاتية باعتبارها القوة المسيطرة على المنطقة بالرغم من وجود القانون لديها.

أوّلاً- أسباب **الظاهرة: هنالك مجموعة أسباب تؤدّي إلى ظاهرة التسرّب لدى الأطفال، والتي على رأسها:**

- الفقر: يعدّ العامل الاقتصادي من أهمّ العوامل التي تدفع الأطفال إلى العمل، حيث تحوّل الطفل في عائلته إمّا إلى معيل وحيد، أو إلى مشارك في الإعالة، مع زيادة تكاليف المعيشة والغلاء.

> - تقول والدة الطفل (م.ح) إن ابنها البالغ من العمر 14 عاماً، والذي يعمل لدى إحدى المحلات التي تعمل في مجال تصليح السيارات، وإذا لم يعمل ابني فلا نستطيع العيش، لأنه لا يوجد معيل آخر، ولم يعد هناك لزوم للمدرسة.
> - الطفل ر- س يعمل في مطعم ويقوم بتوصيل الطلبات إلى المنازل، وهو يعمل ليحصل على مصروفه لإتمام دراسته. فهو صباحاً في المدرسة ومساء في العمل، حيث قال: سأعمل جاهداً لكي أكمل تعليمي مهما كلّفني الأمر.

- خروج الطفل من العمليّة التعليميّة: حيث يشكّل موضوع التسرّب من التعليم عاملاً مهمّاً في دفع الطفل إلى العمل، وهذا الأمر مرتبط أوّلاً بإغلاق معظم المدارس التابعة للحكومة السوريّة من قِبَل الإدارة الذاتية، وهي المدارس المعترف بشهاداتها، وفتح مدارس جديدة لا اعتراف قانوني بالشهادات التي تصدرها، إلّا في مناطق الإدارة، وهو ما يجعل إحجام أهالي الأطفال بإرسال أطفالهم إلى هذه المدارس مبرّراً. بالإضافة إلى فقدان الأمل في الجدوى من التعليم بشكل عام تحت وطأة عدم الإيفاء بمتطلّباته.

> - والد الطفل (س .ك) البالغ من العمر 16 عاماً يقول: من الأفضل أن يتعلّم ابني مهنة تفيده في حياته العملية بدلاً من التعليم الذي لم يعد له جدوى .
> - (م –س) الطفل ذو الـ 12 عاماً يعمل لدى ميكانيكيّ، وقد ترك المدرسة لكي يتعلّم هذه المهنة، حيث ذكر بأن لا جدوى من التعليم، ومن الأفضل أن يتعلّم مهنة تفيده في حياته العمليّة.

ثانياً- نتائج ظاهرة عمالة الأطفال:

تحرم ظاهرة العمالة الأطفال من أبسط حقوقهم الواجب أن يتمتّعوا بها، كما أنها تعيق تكيّفهم الصحّي والنفسي السليمَين، إذ غالباً ما ارتبطت ظروف تشغيل الأطفال بالاستغلال، حيث العمل في أشغال شاقّة (في الصناعة، وتصليح السيارات، والتنظيف والمطاعم وعلى البسطات في الشوارع) ولساعات عمل طويلة، مع أجور زهيدة للغاية. هذه الظروف في العمل يترتّب عليها آثار سلبيّة للغاية على النمو والتكيّف الصحّي والنفسيّ والاجتماعيّ للطفل، وهو ما تؤكّد عليه الأخصائية الاجتماعية (ر.ش) العاملة في مركز استشاريّ إذ تقول "إن التطوّر المعرفيّ للطفل الذي يترك المدرسة ويتوجّه للعمل يتأثّر من حيث انخفاض قدرته على القراءة والكتابة والحساب، إضافة إلى أن إبداعه يقلّ، كما يقلّ التطوّر العاطفيّ لدى الأطفال، فالطفل العامل قد يفقد احترامه لذاته وارتباطه بأسرته نتيجة ابتعاده الطويل عن الأسرة، والنوم في أماكن العمل في بعض الأحيان، وتعرّضه للعنف من قِبَل ربّ العمل أو زملائه، ممّا يفقده ارتباطه وتقبّله للآخرين".

> أحمد 16 عاماً يعمل أجيراً لدى حدّاد في مدينة القامشلي ,و هو الابن الأصغر ,اضطرّ إلى ترك المدرسة و العمل في الحدادة؛ لكي يساعد والده المسنّ في تأمين احتياجات الأسرة.

- الآثار الصحّية: العمل في مجالات تتطلّب جهداً عضلياً ولساعات طويلة، يلحق ضرراً صحّياً لطفل في طور النمو.

> الطفلة (م –ع) تعمل منذ ست سنوات في الزراعة والمعامل و تعمل حاليا في محل حلويات تبلغ من العمر 16 عام في مدينة القامشلي، وتعاني من انحناء في الظهر و تقوس في القدمين بسبب العمل في سن مبكر، الشيء الذي اثر على صحتها سلبا و تسبب لها بعاهة دائمة.

- نفسيّاً: غالباً ما يتعرّض الطفل للإهانات والشتائم من قِبَل أرباب العمل، وأيضاً إلى حالات من التحرّش اللفظيّ والجسدي، وخاصة الفتيات العاملات.
- أمّا بالنسبة للتطوّر الاجتماعيّ: يتأثّر الطفل الذي يعمل بشعوره الانتماء للجماعة، والقدرة على التعاون مع الآخرين. كما تختلط عليه القدرة على التمييز بين الخطأ والصواب، كما أن شروط وظروف الإذعان التي يعايشها الطفل، والتي هي أقرب إلى شروط العبودية، تؤثّر على سلوكاته مستقبلاً. ومن أهمّ السلوكات التي تظهر لدى الأطفال العاملين بمرور الزمن، الخوف والانطواء والعدوانية وفقدان الثقة بالنفس وبالآخرين، وضعف في الشخصية، والشعور الدائم بالسلبية نتيجة الأوامر والكلمات التي يتعرّض لها من الآخرين.

وأخيرا تجد المنصّة المدنيّة السوريّة أن انتشار ظاهرة عمالة الأطفال في المجتمع، يشكّل تهديداً حقيقياً على مستقبل المجتمع، وخاصة مع عدم وجود ضوابط ورقابة للحدّ من الظاهرة. كما أنه يُعدّ انتهاكاً لحقوق الأطفال.

وعليه، يتوجّب على المنظّمات الدولية والجهات المسؤولة في المنطقة العمل على اتّخاذ إجراءات قانونية وإجراءات عملية تجاه تطبيق إجراءات قانونية للحدّ من استغلال الأطفال العاملين.